

الإيمان

حقيقته وزيادته وثمرته

### **إعداد**

#### عبد الله بن محمد الغنيمان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1424هـ - 2003م

دار التدمرية

المملكة العربية السعودية

الرياض - هاتف: 492476 - 4925192 - ص ب: 26173

الرمز: 11486

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويفعل ما يريد قسم خلقه بحكمته إلى شقي وسعيد، وأشهد أن لا إله إلا هوولا رب سواه العزيز الحميد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فإن أهم المهمات وأعظم الواجبات ما تنال به السعادة التي لا انقطاع لها والنعيم الذي لا فناء له ولا نفاد، وبفقده يحصل الشفاء الأبدي، والعذاب السرمدي. ألا وهوالإيمان بالله الذي أرسلت به الرسل. تدعوإليه وتجاهد عليه، وتبشر من قَبلَه وتحلّى به، وتنذر من أباه وتخلّى عنه، وقبل الكلام على الإيمان ولوازمه ومقتضياته وثمراته لا بد من ذكر حده وتفسره؛ لأن حدود الأشياء التي تفسرها وتوضحها تسبقها وتتقدم أحكامها؛ لأن الحكم على الشيء فرع على تصوره، فمن حكم على شيء قبل معرفته به، المعرفة التامة أخطأ ولا بد. فأقول:

حد الإيمان: هوالتصديق الجازم التام الذي لا يعتريه ريب أوتردد بجميع ما أمر الله تعالى به العباد، والانقياد لذلك ظاهراً وباطناً فهوتصديق القلب واعتقاده وتسليمه لله تعالى المتضمن جميع أعمال القلوب المأمور بها شرعاً وأعمال الجوارح فيدخل فيه الدين كله.

ولذلك كان الأئمة يقولون: هوقول اللسان وعمل القلب والجوارح، فهواعتقاد وقول، وعمل يزيد بطاعة الله وينقص بمعصيته، فيدخل فيه علم القلب وعمله وقول اللسان وعمل البدن من العبادات والأخلاق.

قال الشافعي: رحمة الله تعالى: ((كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزى واحد من الثلاثة إلا بالآخر، ويزيد وينقص، لا خلاف فيه عند أهل السنة وإنما خالف فيه أهل البدع)) ذكره عنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان([[1]](#footnote-1))، وقال: إنه ذكر ذلك في كتاب الأم في الكلام على النية في الطهارة، فأصل الإيمان الإقرار والاعتراف بما لله على العبد من الحق الخاص - وهوالتأله والتعبد له ظاهراً وباطناً -، وبما له تعالى من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والآثار الناشئة عنها.

وتصديق ما أخبر الله تعالى به عن رسله وملائكته. والإيمان بجميعهم وما وصفهم به في كتابه وما جاء في سنة رسوله من أوصفاهم الحميدة.

والإقرار والتصديق بما بعد الموت مما يكون في القبر وبعد البعث، وبالحساب والجنة والنار وكل ما أخبر الله تعالى به ووعد بوقوعه وحصوله.

وهذا هوالمراد بقوله في النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: (واليوم الآخر) يعني أن يكون مصدقاً بكل ما أخبر الله تعالى به، أوأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت في القبر من سؤال ونعيم أوعذاب، وكذا بعث وملاقاة الله تعالى وحسابه، ثم الجزاء بالجنة أوالنار والبقاء الأبدي بأحد الدارين.

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في استفتاح تهجده: ((ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك حق ولقاؤك حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق والجنة حق والنار حق))([[2]](#footnote-2)). والحق هوالثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.

وكذلك الاعتراف بانفراد الله تعالى بالعبادة والإخلاص له في ذلك والقيام بشرائع الدين الظاهرة والباطنة من أصول الإيمان اللازمة التي لا نجاة للعبد من عذاب الله تعالى إلا بالإيمان بها، كل ذلك من أصول الإيمان اللازمة التي لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بالإيمان بها، ولذلك رتب الله تعالى على الإيمان دخول الجنة والنجاة من النار ورضوانه، وألا يكون ذلك إلا لمن أتى بما ذُكر من العقائد وأعمال الجوارح؛ لأنه متى فات شيء من ذلك حصل من نقص الإيمان ما يحصل بفوته من ذلك حصل من نقص الإيمان ما يحصل بفوته من الثواب أووجود العذاب ما هومرتب عليه في نصوص الكتاب والسنة.

وقد أخبر تعالى أن الإيمان المطلق تنال به أرفع المقامات وأفضلها في الدنيا والآخرة قال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (19)﴾([[3]](#footnote-3))، والصديقون أعلى الخلق درجة بعد النبيين؛ كما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً (69)﴾([[4]](#footnote-4)).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)﴾([[5]](#footnote-5))، وهذا أعلى ما ينال في الآخرة فلا بد أن يكون الإيمان الذي وعدوا عليه هذا الوعد الكريم داخل فيه فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عن فعله، فدل ذلك على أن الإيمان المطلق يدخل فيه الدين كله.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّريَّ الغابر من الأفق، من المشرق أوالمغرب لتفاضل ما بينهم))([[6]](#footnote-6)). قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم؟ قال: ((بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)) فهذا إيمان مطلق لم يقيد بالعمل.

فالدين كله داخل فيه، فإيمانهم بالله تعالى ورسله ظاهراً وباطناً - أعني في اعتقادهم وأعمالهم وأخلاقهم وكمال طاعتهم لله ورسوله - أوصلهم إلى درجة الصديقين، وبوَّأهم الغرف.

ومن المعلوم أن الإيمان فرض على كل أحد من المكلفين، وأن الله تعالى قد أرسل رسله تدعوا الناس إليه، فلا يمكن أن يكون معناه خافياً غير معلوم للمدعوين ولابد أن الرسل بينته بياناً لا لبس فيه ولاسيما خاتمهم. فلم يكل الله تعالى عباده في ذلك ولا في غيره مما يترتب عليه فلاحهم وعلى تركه عذابهم إلى بيان غيره من الناس الذين لا يزالون مختلفين، بل لا بد أن يبينه بياناً ينقطع العذر معه، وقد فعل.

ولذلك يجب أن نرجع في بيان الإيمان وما أوجبه الله علينا إلى كتاب الله تعالى وأقوال رسوله صلى الله عليه وسلم ففي ذلك الهدى والفلاح، ومن طلب بيان الحق من غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ضل ولا بد.

وسأذكر بعض الأمثلة في بيان الإيمان وإيضاحه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «مما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحتاج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم».

ولهذا قال الفقهاء: الأسماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة، ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر، ونوع يعرف حده بالعرف كالقبض والمعروف في مثل قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾([[7]](#footnote-7))، ونحوذلك.

فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحوذلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله تعالى ورسوله، فلوأراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم، لم يقبل منه.

وأما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها فذاك من جنس علم البيان وتعليل الأحكام زيادة في العلم لا تتوقف معرفة المراد منها عليها.

واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر هي أعظم من هذا كله، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بها بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب.

فيجب الرجوع في معرفة المراد بهذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله فإنه شافٍ كافٍ، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة.

بل كل من تأمل ما تقول الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلم بالاضطرار أن طاعة الله وطاعة رسوله من الإيمان، ويعلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يجعل الزاني وشارب الخمر والسارق والقاذف ونحوهم مرتدين كافرين.

كما يعلم بالاضطرار أنه لوقدر أن قوماً قالوا له: نحن نؤمن بما جئت بقلوبنا من غير شك ونقر بألسنتنا بالشهادتين إلا أننا لا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نؤدي الأمانة ولا نصدق الحديث ولا نصل الرحم ولا نفي بالعهد ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك. ما كان عاقل يتوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم: أنتم مؤمنين وممن تناله شفاعتي ويرجى لكم أن لا تدخلوا النار، بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه سيقول لهم: أنتم أكفر الناس وأول من يقاتل.

وأهل البدع ضلوا لما أعرضوا عن هذه الطريق، وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها إما في دلالة الألفاظ أوفي المعاني المرادة للشارع، ولا يتأملون بيان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكل مقدمات تخالف بيان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تكون ضلالة.

وأئمة الإسلام لا يعدلون عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ما وجدوا إليه سبيلاً، ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها القول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بلا علم وقول غير الحق، وهذا مما حرمه الله تعالى ورسوله قال الله تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (169)﴾([[8]](#footnote-8)). مثال ذلك أن المرجئة لما عدلوا عن بيان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تكلموا في مسمى الإيمان والإسلام وغيرهما بطرقة ابتدعوها فقالوا: الإيمان في اللغة هوالتصديق، والرسول صلى الله عليه وسلم خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها فيكون مراده بالإيمان التصديق، ثم قالوا: والتصديق إنما يكون بالقلب واللسان أوبالقلب، فالأعمال ليست من الإيمان، ثم عمدتهم في أن الإيمان هوالتصديق قوله تعالى عن أخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوكُنَّا صَادِقِينَ﴾([[9]](#footnote-9)).

والجواب عن ذلك من وجوه **الأول**: يقال لهم: اسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من ذكر غيره وهوأصل الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبه يفرق بين السعداء والأشقياء، وبين من يوالي ويعادي والدين كله تابع له، وكل مسلم محتاج إلى معرفته أفيجوز أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أهمل هذا كله ووكله إلى هاتين المقدمتين.

ومعلوم أن ما استشهدوا به على أن الإيمان هوالتصديق من القرآن ولكن نقل معنى الإيمان متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تواتر لفظ هذه الآية.

فالإيمان يحتاج إلى معرفته جميع الأمة فلا بد أن يعرفوه وينقلوه بخلاف كلمة في سورة أكثر المؤمنين لم يكونوا يحفظونها، فلا يجوز أن يكون بيان أصل الدين مبنياً على مثل هذه المقدمات.

ولهذا كثر الخلاف والاضطراب بين الذين عدلوا عن الصراط المستقيم وسلكوا السبل، وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وتفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات.

**الثاني**: يقال هاتان المقدمتان كلاهما ممنوع. فمن الذي قال: إن لفظ الإيمان مرادف للفظ التصديق، فإنه يقال لمن أخبر إذا صدقه المخبَر: «صدقة» ولا يقال: آمنه وآمن، بل يقال: آمن له كما قال الله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾([[10]](#footnote-10))

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾([[11]](#footnote-11)) وليس آمن مرادفاً للفظ صدق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة يقال له في اللغة: صدق أوكذب، فإذا قال السماء فوقنا أوطلعت الشمس يقال: صدقت أويقال: كذبت. وعلم أن الإيمان ضد الكفر، وليس التكذيب هوكل الكفر بل كفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله تكذيباً؛ فإن إبليس لم يخبر بخبر كذبه بل أمره الله تعالى بالسجود لآدم فأبى واستكبر فكان كفره بالإباء والاستكبار وما يتبعه. وكذلك فرعون وقومه جحدوا الآيات التي جاء بها موسى ظلماً وعلوا بعد استيقان أنفسهم لها قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾([[12]](#footnote-12)). وقال له موسى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾([[13]](#footnote-13)).

وكذلك اليهود لم يكن كفرهم عن تكذيب وإنما هوحسد وعناد وجحود كما بيَّن الله تعالى ذلك في القرآن.

أما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، ولم يوجد في اللغة أن من أخبر عن مشاهد أنه يقال له آمناه.

**الثالث**: أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق فإن كل مخبر يقال له في اللغة: صدقت أوكذبت ولا يقال ذلك في الإيمان فلا تقول: آمنته أوكذبته، بل الإيمان يقابل بالكفر فيقال: هومؤمن به أوكافر به. والكفر لا يختص بالتكذيب بل لوقال له: أنا أعلم إنك صادق ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، لكان كفره أعظم من كفر المكذب قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾([[14]](#footnote-14)). فإذا كان الكفر المقابل للإيمان ليس هوالتكذيب فقط علم أن الإيمان ليس هوالتصديق فقط، فالكفر يكون تكذيباً ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعاً بلا تكذيب وعناداً وإعراضاً.

فكذلك الإيمان يكون تصديقاً مع الموافقة والموالاة والطاعة والمحبة والنصرة والانقياد والتسليم والرضى والفرح والاغتباط، فيكون الإسلام جزء من مسمى الإيمان، كما كان الامتناع من الانقياد مع التصديق جزء من مسمى الكفر.

فإن قيل: الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن الشيء الذي يجب أن يؤمن به وهوالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر.

فالجواب: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن ما يؤمن به وما يؤمن له فيجب أن يؤمن به ويؤمن له، فالإيمان به من حيث ثبوته غيب عنا أخبرنا هوبه وأما ما يجب من الإيمان له فهوالذي يوجب طاعته طاعة الله تعالى.

ومن العلماء من قال: إن الإيمان في اللغة من الأمن الذي هوضد الخوف، كما قرر ذلك الحليمي في المنهاج وغيره.

وأما المقدمة الثانية فيقال: إذا فرض أن الإيمان مرادف للتصديق، ولا يكون الإيمان إلا بالقلب واللسان فعنه جوابان:

**أحدهما**: المنع فإن الأفعال تسمى تصديقاً كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك أويكذبه)) والشواهد على ذلك كثيرة.

**الثاني**: أنه إذا كان الإيمان أصله التصديق فهوتصديق خاص كما أن الصلاة أصلها الدعاء ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن أنها دعاء خاص والصيام إمساك خاص والحج قصد خاص، وهذا التصديق له لوازم بيَّنها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فصارت لوازمه داخلة في مسماه عند الإطلاق فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم.

فلفظ الإيمان إذا جاء مطلقاً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يراد به ما يراد بلفظ «البر» و«التقوى» و«الدين والعبادة» و«المعروف» ونحوذلك من الألفاظ الجامعة، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**))([[15]](#footnote-15))، فكل ما يحبه الله تعالى يدخل في اسم الإيمان.

وهذا الحديث ظاهر جداً في أن الإيمان يشمل قول اللسان وأعمال الجوارح والقلوب من الاعتقادات والعمل، كما يدخل فيه الأخلاق والإحسان إلى الخلق.

فقد جمع في هذا الحديث بين أصل الإيمان وقاعدته وهوقول: لا إله إلا الله مخلصاً لله في ذلك، ومعتقداً أحقية ما دلت عليه، ومتألها. وبين أدنى الإيمان وهوإماطة ما يؤذي المسلمين عن طريقهم فكيف ما هوأعظم من ذلك من نفع المسلمين من القول والتعليم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والإحسان إليهم مما يسدي إليهم من نفع مادي أومعنوي.

وجعل الحياء من الإيمان لأنه يحمل العبد على اجتناب كل ما يخل بالمروءة والأخلاق الحسنة ويحمل العبد أيضاً على فعل الجميل، فشملت هذه الشعب أمور الدين كلها ظاهرها وباطنها.

وهوظاهر في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشعب ونقصها فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد خالف النصوص من الكتاب والسنة وخالف الحس والواقع لأن تفاوت قيام الناس بشرائع الدين ظاهر جداً.

وأكثر الآيات التي فيها وصف الإيمان وأهله تشبه هذا الحديث في جعل الأعمال داخلة فيه سواء كانت من أعمال القلوب، أوالجوارح وكذلك الآداب والأخلاق. كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْومُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)﴾([[16]](#footnote-16)).

فبيَّن الله تعالى أن الإيمان في هذه الآيات يجمع هذه الأعمال فإنه تعالى أخبر بفلاح المؤمنين، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخر الأوصاف المذكورة فمن استكمل هذه الأوصاف فهوالمؤمن حقاً، ففيها القيام بالواجبات الظاهرة والباطنة، واجتناب المحرمات والمكروهات، وبتكميلهم إيمانهم جازاهم ربهم تبارك وتعالى بوراثة الفردوس وهي أعلى الجنان وأحسنها وهي كما ترى ظاهرة في أن الإيمان جملة عقائد وأعمال وأخلاق ظاهرة وباطنة.

ويلزم من ذلك أنه يزيد وينقص، فيزيد بزيادة هذه الأعمال وينقص بنقصها، كما أن المؤمنين يختلفون في التحقق بها، فبإيمانهم يتفاوتون وعملهم يتفاوت تبعاً لذلك.

ولهذا كانوا على ثلاث درجات: **سابقون بالخيرات** مقربون، وهم فاعلوا الواجبات مع المستحبات، وتاركوا المحرمات والمكروهات، وفضول المباحات. **وأصحاب اليمين** مقتصدون، وهم من أدى ما وجب عليه واجتنب ما حرم عليه فقط، **وظالمون لأنفسهم** بترك بعض ما وجب، وتناول بعض ما حرم عليهم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوالْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾([[17]](#footnote-17)).

ومما يوضح معنى الإيمان قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾([[18]](#footnote-18)).

فوصف الله تعالى المؤمنين بهذه الأعمال التي هي أصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه، فإنهم آمنوا إيماناً ظهرت لوازمه ومقتضياته في قلوبهم وعلى جوارحهم في أقوالهم وأفعالهم، فإذا ذُكر الله عندهم تحركت قلوبهم بالوجل، وزيادة الإيمان عند تلاوة آيات ربهم، وهم في أعمالهم ومراداتهم متوكلون على الله تعالى ومفوضون أمورهم إليه، ويقيمون الصلاة ظاهراً وباطناً فرضها ونفلها، وينفقون أموالهم في مرضات الله ووجوه الخير فيما يجب ويُستحب، يفعلون ذلك كله بإخلاص وصدق خائفين راجين ثواب ربهم.

فمن كان على هذا الوصف فقد استكمل الإيمان وتحصل على الخير كله وبعد كل البعد من أسباب العذاب ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّا﴾ لتحققهم بالإيمان في ظاهرها وباطنهم والقيام بلوازمه وحقيقته، ولهذا استحقوا هذا الوعد الكريم والفضل الجزيل: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فتضمن أمنهم من كل شر ومحذور ورفعة درجاتهم في النعيم الذي لا يعلمه إلا ربهم تعالى وتقدس.

فهذا جزء الإيمان الشامل الذي يشمل جميع شرائع الدين ويتبعه الانقياد والاستسلام لله تعالى مع الإخلاص والخضوع والذل لرب العالمين، وقد أمر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾([[19]](#footnote-19)).

فأمر الله عباده بالإيمان بجميع هذه الأصول العظيمة والإيمان بجميع كُتب الله المنزلة على رسله، وبكل رسول أرسله الله تعالى، وبالإخلاص والانقياد له تعالى وحده بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

كما أثنى على المؤمنين الذين قاموا بما ألزمهم ربهم من الإيمان الشامل لكل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه أثنى عليهم بقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)﴾([[20]](#footnote-20))، فأخبر تعالى خبراً يتضمن رضاه بأن الرسول ومن معه من المؤمنين آمنوا بهذه الأصول ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله تعالى، بل آمنوا بهم جميعاً وبما أوتوه من ربهم تعالى والتزموا طاعة الله، مع اعترافهم بأنهم لم يقوموا لله تعالى بحقه الذي يجب طالبين منه تعالى أن يحقق لهم إيمانهم وأن يعفوعن تقصيرهم ببعض حقوق الإيمان فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾، مع إيمانهم باليوم الآخر والجزاء ﴿وإليك المصيرُ﴾ فمرجع الخلق كلهم إليك ربنا فتجازيهم بعملهم وأنت الذي أحصبت عليهم الدقيق والجليل ولا يضيع لديك عمل العاملين، فنسألك عفوك يوم نلقاك والمزيد من فضلك.

فالإيمان بالله تعالى هوأساس كل خير ومبدأه.

ولا يكون أصلاً للخير إلا إذا كان متمكناً من النفس بالبرهان، مصحوباً بالخضوع لله تعالى والإذعان له، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يؤثر أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم على أمر كل أحد.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾([[21]](#footnote-21)).

فالإيمان يهيمن على العبد في نفسه وفي سلوكه وأعماله وتصرفاته مع ربه ومع الخلق، ولا ينحرف عن ذلك إلا إذا فقد الإيمان أوبعض أجزاءه الواجبة له.

ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)﴾([[22]](#footnote-22)) فجعل البر هوالإيمان وفسر الإيمان بأنه الإيمان بالله وباليوم الآخر الذي أخبر الله تعالى بأنه آت ويدخل فيه كل ما أخبر الله تعالى عنه ورسوله من حين يعاين العبد رسل الله الذين يتولون قبض روحه إلى استقرار العبد في الجنة أوالنار.

والإيمان بالملائكة يدخل فيه كل ما أخبر الله تعالى عنهم وكذلك ما ذكره تعالى إلى آخر الآية فدخل في الإيمان بالله عبادته باتباع أمره واجتناب نهيه وحبه وخوفه والإيمان بأسمائه وصفاته وعبادته بها وغير ذلك.

ومن المعلوم أن مجرد التصديق في ذلك لا يكفي ولا يكون العبد به مؤمناً.

وواضح من الآية أن الله تعالى جعل الإيمان الدين كله من العقائد والأعمال.

فإنفاق المال مع حبه في وجوه البر طلباً لمرضات الله تعالى، وإقام الصلاة على أمر الله، وآيتاء الزكاة مستحقها والوفاء بالعهد، والصبر على ما يصيب الإنسان من فقر ومرض وغيره، وكذلك الصبر أمام العدوفي القتال كل هذا إيمان.

ودلت الآية على أن البر والصدق والتقوى والإيمان مدلولها في هذه الآية واحد وهوالإيمان الذي فصله الله وبينه في هذه الآية وغيرها فلفظه: (البر) تساوي لفظه: (الإيمان) فهي جامعة للخير كله، وذكر الله تعالى في هذه الآية الجامعة أن الإيمان يدخل فيه كل ما أمر الله به وأحبه من الإيمان به تعالى وبملائكته وكتبه ورسله وبما أخبر به عباده ووعدهم أياه أوتوعدهم به من الجزاء بعد البعث من القبور.

والإحسان إلى عباد الله من أقرباء وغيرهم ببذل المال لنفعهم مع حبه سواء كان مستحباً دفعه كالصدقات، أوواجباً كالزكاة، وكذلك فعل الصبر على المأمور وعلى المقدور وعن المحظور، والصبر على الفقر والإعواز، وعلى المرض والضر، وعلى قتال العدوومجالدته، وكذلك إقام الصلاة، وكل ما أمر الله تعالى به، فمن فعل ذلك تقرباً إلى الله تعالى ورجاء لثوابه وخوفاً من عقابه فهوالصادق في إيمانه.

فنتبين بهذه الآية ونحوها أن الإيمان هوفعل ما أمر الله تعالى به والانكفاف عما نهى عنه ولابد من الزيادة في ذلك والنقصان لأن الناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فيما يعملونه من الطاعات وما يقوم في قلوبهم من الإيمان والتصديق.

وهويدل على عمق فهم السلف للإيمان حين جعلوه فعل القلب وتصديقه وفعل الجوارح وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

كما أن الآية ظاهرة في الدلالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان فالله تعالى جعل ما ذكر فيها إيماناً.

فمن أخرج العمل عن الإيمان فقد خالف كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف كما سبق ذكر إجماعهم على ذلك نقلاً عن الشافعي رحمه الله تعالى، وأمثال هذه الآية في كتاب الله كثير.

ومما يدل على ذلك أن الله تعالى نفى الإيمان عمن لم ينقد لحكمه تعالى أوحكم رسوله صلى الله عليه وسلم قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (61)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (65)﴾([[23]](#footnote-23))، فبين تعالى أن من أراد التحاكم إلى الطاغوت أنه كاذب في دعواه الإيمان؛ لأن الإيمان هوالقبول عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم الخبر والأمر بدون نظر أواختيار لنفسه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (36)﴾([[24]](#footnote-24)) وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، يبين أن عصيان الأمر ليس من خُلق المؤمن، ولكن أكثر الناس يتبع الشيطان في ضلال بين واضح.

ثم أخبر أن نهجهم غير نهج المؤمنين لأن المؤمنين إذا دعوا إلى كتاب الله أوسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا: سمعاً وطاعة، أما هؤلاء فإنهم إذا دعوا إلى ذلك صدوا عن الداعي وأعرضوا كأنهم لم يسمعوا.

ثم أقسم تعالى أنه لا يحصل الإيمان لمن لا يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في كل خلاف يحصل له، ولابد من الرضا بحكمه والانقياد له والتسليم. وإذا لم يحصل ذلك فينتفي ظاهر الإيمان، وباطنه حيث يدخل فيه عمل القلب والجوارح مما يبين نفي الإيمان والانتفاء، موجبه أوبعضه، قوله تعالى في وصف من أعرض عن حكم كتاب الله ولوفي بعض الأمور: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾([[25]](#footnote-25))، فنفي عنهم الإيمان لتوليهم وإعراضهم عن حكم الله تعالى وهويدل على أن تحكيم كتاب الله إيمان والتحاكم إلى غيره كفر.

وظاهر أن هذا التحاكم وعدمه يكون باطناً وظاهراً... أعني عمل القلب والبدن.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)﴾([[26]](#footnote-26))، فالذين لا ينقادون لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم إما ضعيفوا الإيمان وإيمانهم لا يمنعهم العذاب وإما ذاهبوا الإيمان ولذلك لا يلتزمون أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقادون له بخلاف من كمل إيمانه فإنه إذا بلغه أمر الله أوأمر رسوله صلى الله عليه وسلم قال: سمعاً وطاعة وانقاد له مذعناً خائفاً راضياً. فدل ذلك على الملازمة بين الإيمان والعمل فلا انفكاك لأحدهما عن الآخر.

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني وهومؤمن، ولا يسـرق السارق وهومؤمن»([[27]](#footnote-27))، يعني في حالة تحليه بالإيمان الواجب عليه لا يصدر منه ما ذكر لأن الإيمان يمنعه من ذلك.

وليس معنا هذا أن مرتكب الكبيرة يكون كافراً خارجاً من الدين الإسلامي كما تقوله المبتدعة من الخوارج وغيرهم، بل المعنى أنه فقد الإيمان الواجب عليه الذي يمنعه من الوقوع في المخالفات.

وهوالإيمان الذي يكون به الأمن من العذاب، أما الإيمان الضعيف فإنه لا يقوى على منع صاحبه من ارتكاب الكبائر، كما أنه لا يقوى على أن يمنع صاحبه من العذاب. وضعفاء الإيمان يتفاوتون في ضعفه تفاوتاً كبيراً، فإنه قد لا يبقى منه مثقال ذرة، فيصبح لا أثر له في كبح جماح صاحبه فتجده مقصراً في الواجبات، منهمكاً في المحرمات.

ولذلك قسم الله تعالى عباده الناجين من العذاب إلى ثلاثة أقسام: ظالمون لأنفسهم، ومقتصدون, وسابقون بالخيرات بإذن الله تعالى. فالظالمون منهم من يدخل جهنم ويتفاوت بقاؤهم فيها حسب إجرامهم وما ذلك إلا لضعف إيمانهم.

فالإيمان بالله تعالى هوأساس كل خير ومبدأه، ولا يكون أصلاً للخير إلا إذا كان متمنكاً من النفس بالبرهان، مصحوباً بالخضوع لله والإذعان وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ويؤثر أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم على أمر كل أحد، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾([[28]](#footnote-28)).

فمن قدم شيئاً من الدنيا على محبة الله ورسوله أوعلى دين الله تعالى فهوفاسق مستحق لوعيد الله تعالى، وإيمانه إما ذاهب أومنقوص الواجب.

فالإيمان تزكوبه النفوس وتطمئن به القلوب ويصرف النفس عن دعاوي الشر ويبعثها على الخير، كما أنه يهذب الأخلاق ويطرد الوساوس فلا يبطر صاحبه النعمة ولا يظلم الخلق، ومع ذلك لا يأمن عند التقصير النقمة.

والإيمان يصرف النفس عن دواعي الشر وأسباب المعاصي فيحول بينها وبين الشر، وإذا غفل المؤمن أونسي أوزل أواختلس الشيطان منه هفوة تذكر وذكر ربه فبادر إلى التوبة والإنابة، فكانت حاله بعد ذلك أحسن منها قبل الوقوع في المخالفة كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)﴾([[29]](#footnote-29)).

فالمؤمن رجاع نزاع، أواه منيب لا طمأنينة له إلا بربه وذكره وذلك من موجبات الإيمان قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾([[30]](#footnote-30)).

والمؤمن من يؤلمه ما آلم أخاه المؤمن في أي مكان كان ومن أي جنس هوويفرح بما يسر أخاه ويفرحه وذلك أيضاً من موجبات الإيمان.

كما قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»([[31]](#footnote-31))، ويعلم أن كل مصيبة تهون دون مصيبة الدين، فهويقدم ماله ونفسه في سبيل دينه، فإيمانه يرفع نفسه ويعلوبها أن تذل أوتخضع لمخلوق مهما كان حياً أوميتاً ويستهين بالدنيا أمام دينه.

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب من الدين الفرار من الفتن ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع المطر يفر بدينه من الفتن»([[32]](#footnote-32)).

فالمؤمن كل حياته لله تعالى فعبودية المؤمن لله وحده وخضوعه وذله له وحده، وهوعزيز بربه مغتبط بدينه وقدوته وإمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الدلائل الواضحة على أن العمل من الإيمان كون الإيمان يزيد وينقص وهوأمر لا ينكر فهومحسوس معلوم. فقد تبيَّن بدلائل الكتاب والسنة معنى الإيمان، وأنه اسم جامع لشرائع الإسلام أصوله وفروعه. فعلم بذلك ضرورة أنه يزيد وينقص لاختلاف المؤمنين في العلم العمل وما يتبع ذلك. فهذه المسألة لا ينبغي التوقف فيها ولا الاشتباه بوجه من الوجوه لوضوحها. قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾([[33]](#footnote-33)) وقال جل وعلا: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا ِإيْمَانَاً﴾([[34]](#footnote-34)) في آيات كثيرة فيها التصريح بزيادة الإيمان.

والواقع يشهد بهذا فإن الناس متفاوتون في علوم الإيمان ومعارفه، وفي فروعه وأخلاقه، وأعماله الباطنة والظاهرة تفاوتاً عظيماً فالمؤمنون كاملوا الإيمان عندهم من أعمال الإيمان القلبية والبدنية ما لا يوجد مثله ولا قريباً منه عند عموم المؤمنين الذين عندهم من ضعف العمل ومن الشبهات والشهوات ما يضعف إيمانهم.

فمن عرف معاني الكتاب والسنة وآمن بها وعمل فهوأكمل إيماناً ممن فاته شيء من ذلك، فكلما علم الإنسان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فآمن به وعمل به كان ذلك زيادة في إيمانه على من لم يحصل له ذلك.

وكذلك من عرف أسماء الله تعالى ومعانيها فآمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء، بل آمن بها إيماناً مجملاً، أوعرف بعضها، وكلما زاد العبد معرفة بأسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان إيمانه أكمل.

مع أن التصديق والعلم يتفاوتان عند الناس تفاوتاً كبيراً، فمن كان تصديقه جازماً ليس مثل من عنده تردد أوأنه لوشُكِّك لشك.

وهم في العلم أعظم تفاوتاً فإذا كانوا يتفاوتون في معارف القلوب وتصديقاتها فتفاوتهم في أعمال الجوارح ظاهر محسوس، وكل هذا يدل على تفاضل الإيمان وزيادته عند بعض المؤمنين وضعفه عند بعضهم.

فالتصديق المستلزم عمل القلب أكمل من تصديق لا يؤثر في القلب عملاً. والعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل وأتم من علم لا يعمل به صاحبه. والناس يختلفون اختلافاً كبيراً في أعمال القلوب من الحب والخوف والإنابة والتوكل والخضوع والذل لله تعالى فمن كانت هذه ونحوها عنده أكثر فإيمانه أكمل ممن لم يكن كذلك.

وذكر الإنسان بقلبه ما أمر الله تعالى به واستحضاره بحيث لا يكون غافلاً عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه، فاستحضار الأمر والتصديق يكملان العمل والإيمان ولهذا قال عمير بن حبيب الصحابي رضي الله عنه لما سئل عن زيادة الإيمان ونقصانه قال: إذا ذكرنا الله سبحانه وحمدناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصه.

وقال عمر بن العزيز رحمه الله: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدود وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان من لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.

وقال معاذ رضي الله عنه: اجلس بنا نؤمن ساعة. ذكره البخاري([[35]](#footnote-35)).

وقد قال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾([[36]](#footnote-36)) وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)﴾([[37]](#footnote-37)) وقد يكون الإنسان منكراً لأشياء لا يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بها ثم يتبين له أنه صلى الله عليه وسلم قالها فيصدق بها فيزداد بذلك إيماناً لم يكن معه قبل ذلك.

أما تفاضل الناس في الأعمال الظاهرة فهومحل اتفاق بين أهل السنة والمرجئة، ولكنهم ينازعون أهل السنة في دول الأعمال في مسمى الإيمان ويقولون: إذا أطلق عليها أنها إيمان فذلك مجاز، ويجعلون الزيادة في الأعمال والنقص من ثمرات الإيمان ومقتضياته.

وأما الإيمان نفسه فلا زيادة فيه ولا نقصان. وجواب ذلك أن يقال: إن الأعمال من لوازم الإيمان وموجباته فيمتنع أن يوجد إيمان تام في القلب وأن لا يوجد عمل في الجوارح، فتصورهم لذلك مجرد نظرية ذهنية لا حقيقة لها في الخارج العملي.

فإذا وجد الإيمان فلا بد من وجود الحب والخوف والرجاء والإخلاص ونحوذلك من أعمال القلب، ويتبع ذلك قول اللسان وعمل الجوارح.

وقولهم: إن الإيمان حقيقة في التصديق ومجاز في الأعمال.

جوابه: أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز مسألة خلاف بين العلماء، فإذا لم يصح هذا التقسيم فلا كلام لأن الحجة باطلة من الأساس.

وإن صح التقسيم فنقول: إن قولكم إن تناول الإيمان للأعمال مجاز باطل لأن الحقيقة هي اللفظ الدال على المراد بلا قرينة والمجاز ما دل عليه بقرينة، وقد تبين من أدلة الكتاب والسنة أن الإيمان إذا أطلق دخلت فيه الأعمال، وإنما يزعم من يخرجها عن الإيمان إذا جاء الإيمان مقيداً بالعمل، فعلى هذا يكون قوله صلى الله عليه وسلم: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**» حقيقة.

وأما زيادة الإيمان بأعمال القلوب فأمر ظاهر جداً فالناس يتفاوتون تفاوتاً ظاهراً محسوساً لهم في حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخشيته والإنابة إليه والتوكل عليه والإخلاص له حتى إن الإنسان يجد من نفسه أنه في بعض الأوقات أكثر خوفاً لله ومحبة له وإنابة إليه، كما أن الناس يختلفون أيضاً في سلامة القلوب من الرياء والكبر والعجب والحسد ونحوذلك من الأخلاق الذميمة.

والواقع أن تفاضل المؤمنين في الإيمان لا يعلم قدره إلا الله تعالى يدل لذلك ما ثبت في البخاري وغيره عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مرَّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع، قال: ثم سكت، فمرَّ رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن تشفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خير من ملئ الأرض مثل هذا»([[38]](#footnote-38)).

فهذا التفاضل العظيم لا بد أنه لأجل ما يقوم في القلب من معرفة الله وحبه وإخلاص العمل له وخوفه ومراقبته؛ فهذا تفاضل لا يضبطه إلا خالقهم العالم بما في قلوبهم، وتبعاً لذلك تتفاوت منازلهم ودرجاتهم يوم القيامة وقد سمَّى الله تعالى العمل إيماناً كما سمَّى تركه ومخالفته كفراً، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُومُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)﴾([[39]](#footnote-39))، فجعل تعالى ما يعملون به مما أمروا به إيماناً وما يعصونه ويخالفونه كفراً، وهذا صريح في أن العمل يكون إيماناً وعدم العمل بالأمر يكون كفراً.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْأِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾([[40]](#footnote-40)) قاله جلّ وعلا بعد ما ذكر ما أحله لعباده من الصيد والطعام والنساء وما حرمه عليهم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ إلى آخر ما ذكره من المحرمات ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْأِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾([[41]](#footnote-41))، فدل على أن المراد من لم يلتزم بتحليل ما حلله وبتحريم ما حرمه، وهوعمل ظاهر فهوصريح في تسمية العمل إيماناً ولا يصح أن يكون المعنى: (ومن يكفر بالتصديق) ونحوه. والأدلة على تسمية العمل إيماناً متعددة وفيها كثرة.

فعلم بهذا أن الإيمان الذي في القلب من التصديق، والإقرار والتسليم والحب وغير ذلك من موجب الأعمال الظاهرة فهي داخلة في مسماه وجزء منه كما هوقول أهل السنة فيكون لفظ الإيمان دال عليها بالتضمن والعموم ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ﴾ أي: اعملوا بجميع شرائع الإيمان وشعبه ودعائمه وسننه فاعملوا على تكميل إيمانكم الواجب وتثبيته والاستمرار عليه ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾([[42]](#footnote-42)) أي: ادخلوا في جميع ما أمركم الله به وكفوا عن جميع ما نهاكم عنه.

ومن ذلك وقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)﴾([[43]](#footnote-43)) أي ارجعي إلى طاعة ربك راضية بها مغتبطة بذلك وادخلي في عبادته تعالى ولا تخرجي عنها.

وقد يكون العمل لازم للإيمان ومعلوم له وثمرة له. فقوله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))([[44]](#footnote-44))، دخل في الإيمان عمل القلب وعمل الجوارح كما هوواضح في الحديث، ومثل هذا الحديث في دلالة دخول الأعمال في مسمى الإيمان قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾([[45]](#footnote-45)) لامتناع وجود الإيمان بلا عمل.

فالعمل لازم للإيمان ومعلول له وثمرة له في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر. والإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**))([[46]](#footnote-46)).

فلا يمكن أنه صلى الله عليه وسلم يريد إيماناً بلا إسلام، ولا إسلاماً بلا إيمان، ولا إحساناً بلا إيمان وإسلام، فلا بد أن يكون المؤمن مسلماً وأن يكون المحسن مسلماً مؤمناً، أما الإسلام الذي هوالانقياد الظاهري والدخول في الطاعة العامة فقد يوجد في مبدأ الأمر بلا إيمان مؤثر ملزم بالعمل كما قال الله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾([[47]](#footnote-47)).

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾([[48]](#footnote-48)) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾([[49]](#footnote-49))، فهذا يدخل فيه الدين كله والعمل الباطن والظاهر وذلك أن الإسلام إذا جاء مفرداً دخل فيه الإيمان ولوازمه وأعماله كلها من أصول وفروع، ومثله الإيمان إذا جاء مفرداً كما سبقت الإشارة إليه.

أما إذا اقترن أحدهما بالآخر فيقصد بالإيمان الأعمال الباطنة وبالإسلام الأعمال الظاهرة كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في حديث جبريل، وبهذا تنحل بعض الإشكالات في هذه المسألة.

فاسم الإيمان يطلق على ما في القلب من التصديق والمحبة والتعظيم والمعرفة والإنابة والخوف والرجاء ونحوذلك وتكون الأعمال الظاهرة والأقوال لوازم الإيمان وموجباته ودلائله وهي داخلة في مسماه وتسمى إسلاماً.

ولكون الإيمان يتضمن العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب**))([[50]](#footnote-50)).

فإذا صلح القلب بالإيمان لزم أن تقوم الأعضاء بالأعمال ولا بد؛ فإن البدن تابع للقلب لا يخرج عن إرادته فليزم من صلاح القلب ضرورة صلاح البدن كما قال صلى الله عليه وسلم، فالأصل القلب فإذا كان فيه صلاح وإرادة سرى ذلك إلى الجوارح ضرورة لا يمكن أن يتخلف عمل الجوارح عما يريده القلب.

وبهذا يتبين غلط المرجئة الذين يقولون إن الإيمان هومجرد التصديق والعلم ليس معه عمل؛ فإن هذا لا يكون ديناً ولا إيماناً بل هوأمر متخيل لا وجود له في الواقع؛ إذ الأعمال الباعث عليها ما يقوم في القلب من التصديق والعلم والمحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة.

وكذلك يتبين بطلان قولهم أن عمل ما ظاهره الكفر يشترط في العامل لها أن يكون مستحلاً لها، وذلك أن عمل ما هوكفر ينافي الإيمان كما هوظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكما عرفنا من ملازمة العمل للإيمان. وأيضاً لا يجوز أن يقيد كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بآراء الناس ومذاهبهم وما تمليه عليهم مراداتهم وأهوائهم.

وكذلك من الغلط عندهم قولهم أن كل من حكم الشرع بكفره وخلوده في النار فهولأنه ليس في قلبه شيء من التصديق والعلم، وهذا قول مخالف لكتاب الله تعالى ومخالف للعقل وما يعرفه الناس، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره فيخالفه أويجحد الحق إما حسداً أورغبة في الدنيا أولمنصب أوهوى أولأنه خالف مألوفه ومحبوبه أوغير ذلك من الأغراض الكثيرة، قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾([[51]](#footnote-51))، وقال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾([[52]](#footnote-52))، وغير ذلك مما ذكر الله تعالى عن الكفار، يتعللون بها عن إتباع الرسل والغالب أنهم يعلمون صدق رسلهم لأنهم جاؤهم بالبينات والدلائل الواضحات، ومن ذلك كفر إبليس لعنه الله واليهود وغيرهم فإنه بعد معرفتهم للحق والعلم به.

أما ما احتجوا به من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة مثل قولهم إن الله تعالى خاطب الناس بالإيمان قبل العمل فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾([[53]](#footnote-53)).

والجواب: إنهم خوطبوا لما آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وانقادوا لأمره خوطبوا بالأوامر والنواهي.

والأعمال قبل أن يؤمروا بها ليست من الإيمان وإنما صارت من الإيمان لما جاء بها الخطاب فعند ذلك آمنوا بها وامتثلوا ما أمروا به، فكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن تفرض عليهم الفرائض التي خوطبوا بها فلما نزلت امتثلوها ولوردوها ما كانوا مؤمنين قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾([[54]](#footnote-54))، فتبين أن عدم قبول الفرائض أنه كفر، ولهذا لم يذكر الحج في الأحاديث التي يذكر فيها أركان الإسلام والأحاديث التي فيها ذكر ما يجب أن يؤمن به المتقدمة في الأمر كحديث وفد عبد القيس([[55]](#footnote-55))، وحديث ضمام ابن ثعلبه وغيرهما، وإنما جاء ذكر الحج في الأحاديث المتأخرة التي جاءت بعد فرض الحج كحديث ابن عمر وحديث جبريل ونحوهما فلما فرض الحج أدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإيمان إذا جاء مفرداً وفي الإسلام إذا جاء مقروناً مع الإيمان.

ومما احتجوا به قولهم: لوكان رجلاً آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بعد طلوع الشمس ثم مات قبل دخول وقت صلاة الظهر لمات مؤمناً وكان من أهل الجنة، فدل ذلك على أن الأعمال ليست من الإيمان.

والجواب: هوما تقدم أنه لما آمن فهومستعد ومتهيئ للعمل ومنقاد له ولكن ما تمكن منه فمات قبل أن يجب عليه العمل الذي هوصلاة الظهر أما عمل القلب من حب الله ورسوله وخوف الله ورجاؤه ونحوذلك فلا بد أنه قائد في قلبه.

ومن شبههم في أن الأعمال ليست من الإيمان أن الله تعالى فرق بين الإيمان والعمل حيث يعطف العمل على الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾([[56]](#footnote-56)).

والجواب: إن المعطوف قد يكون لا ارتباط له بالمعطوف عليه ولا يعرف لزومه كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ﴾([[57]](#footnote-57))، وهذا هوالغالب في العطف وقد يكون العطف لما بين المعطوف والمعطوف عليه من التلازم والارتباط كقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾([[58]](#footnote-58))، فإن من كفر بالله فقد كفر بالملائكة والكتب والرسل فالمعطوف لازم للمعطوف عليه، وقد يكون عطف بعض على كل كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾([[59]](#footnote-59))، ومنه عطف العمل على الإيمان وقد يكون العطف لاختلاف الصفة فقط وإلا فالمعطوف هوالمعطوف عليه كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4)﴾([[60]](#footnote-60))، وبذلك يتبين بطلان الاحتجاج بعطف العمل على الإيمان فهولا يدل على المغايرة كما هوواضح.

وأما تفريق الله تعالى بين الإيمان والعمل فهولا يدل على أن العمل خارج عن الإيمان وقد مضى أن الإيمان إذا جاء مطلقاً فقد أدخل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيه العمل، وذلك لأن أصل الإيمان في القلب والأعمال الظاهرة لازمة له لا يتصور وجوده بدونها، فإذا لم توجد صار ذلك دليلاً على أنه غير موجود، وإذا نقصت فهودليل نقصه، فعطف الأعمال على الإيمان ليدل على أنه لا يكفي إيمان القلب بل لابد معه من الأعمال، ولهذا ترجم البخاري رحمه الله في الصحيح بقوله: (باب: من قال: إن الإيمان هوالعمل لقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)﴾([[61]](#footnote-61)) وقال عدة من أهل العلم في قوله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾([[62]](#footnote-62)) عن قول: لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾([[63]](#footnote-63))، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((جهاد في سبيل؟)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور))([[64]](#footnote-64)) انتهى.

ومقصوده أن الإيمان كله عمل، نقيض من يقول: أنه تصديق القلب وقول اللسان فقط مع إن تصديق القلب عمله وقول اللسان عمله، وبذلك يتبين أن الإيمان كله عمل كما قال رحمه الله.

واحتجوا بما رواه الإمام مالك في الموطأ: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية له سوداء فقال: يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة فإن كنت تراها مؤمنة أعتقها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أن محمداً رسول الله؟ قالت: نعم. قال: أتوقنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعتقها**))([[65]](#footnote-65)).

ولا حجة لهم بهذا الحديث على أن العمل ليس من الإيمان؛ لأن الإيمان الظاهر الذي تتعلق به الأحكام في الدنيا لا يلزم منه الإيمان الباطني الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة، فإن المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾([[66]](#footnote-66))، هم في الدنيا على ظاهرهم مؤمنون يصلون مع المؤمنين ويصومون ويحجون ويغزون معهم والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يحكم صلى الله عليه وسلم فيهم بحكم الكفار المظهرين للكفر، بل لما مات عبد الله بن أبي سلول وهومن أشهر المنافقين ورثه ابنه عبد الله وهومن خيار المؤمنين وكذلك غيره من المنافقين، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**))([[67]](#footnote-67)) لا يدخل فيه المنافقون، وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، فيتبين بذلك أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن تلك الأمة بالإيمان الظاهر الذي تعلق به الأحكام الظاهرة وإلا فقد ثبت أن سعد لما شهد لرجل أنه مؤمن قال له صلى الله عليه وسلم: ((**أومسلم**))([[68]](#footnote-68)). كرر ذلك ثلاثاً وذلك الرجل يظهر من الإيمان أكثر مما تظهر تلك الأمة.

فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة في الدنيا التي تعلق بها الأحكام وبين أحكامهم في الآخرة التي يستحقون بها دخول الجنة.

واحتجوا أيضاً بقول ابن مسعود: ((اليقين الإيمان كله)) ذكره البخاري تعليقاً([[69]](#footnote-69)). قالوا: دل قوله هذا على أن الإيمان مجرد التصديق حيث جعل اليقين الإيمان كله فحصره في اليقين.

والجواب: أن ابن مسعود رضي الله عنه ما أراد نفي الأعمال عن الإيمان، وإنما أراد أن يبين أن اليقين هوأصل الإيمان كله، فإذا أيقن القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر انبعثت الجوارح كلها بالعمل والاستعداد للقاء الله ممتثلة أمره مجتنبة نهيه، فيكون منشأ ذلك من اليقين ولهذا كان يقول في دعائه: ((اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفهماً)).

والخلاصة أن الإيمان جاء في الكتاب والسنة مطلقاً كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾([[70]](#footnote-70)).

فإذا جاء مطلقاً دخل فيه جميع ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، وتكون الأعمال داخلة في مسمى الإيمان عند عامة السلف من الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم وهومذهب أهل السنة.

فأصل الإيمان في القلب وهوإقراره بالتصديق والحب والانقياد، ولابد أن يظهر مقتضاه وموجبه على الجوارح، وإن لم يكن كذلك فالإيمان معدوم أوضعيف لا تأثير له، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد إلا وهي القلب))([[71]](#footnote-71))، والله تعالى بيَّن أن تحقيق الإيمان وتصديقه بالأعمال الظاهرة والباطنة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾([[72]](#footnote-72))ونظائر هذه الآية كثير في القرآن. فالله تعالى حصر المؤمنين الحقيقيين في من اتصف بهذه الصفات فإذا انتفت عن الإنسان دل على انتفاء الإيمان وإذا انتفا بعضها أوضعفت دل على ضعف الإيمان فيكون صاحبه مستوجباً للعذاب إن لم يعف الله تعالى.

وبهذا يتبين أن العمل مع الإيمان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وأن تصور وجود إيمان كامل بلا عمل أمر خيالي لا حقيقة له في الوجود الخارجي، فالإرادة الجازمة للفعل مع القدرة التامة يلزم منها وقوع المقدور ولابد، وكذلك إذا كان في القلب حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم استلزم موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ولابد كما قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوكَانُوا آبَاءَهُمْ أَوأَبْنَاءَهُمْ أَوإِخْوَانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ﴾([[73]](#footnote-73)) وأما إذا جاء اسم الإيمان مقيداً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾([[74]](#footnote-74)) وقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾([[75]](#footnote-75)) فهوأيضاً يدخل فيه العمل وعطف العمل من عطف الخاص على العام.

ومن المشهور عن المرجئة قولهم: أن المؤمن يقطع بكمال إيمانه، وأن الإيمان لا يتفاوت، بل إيمان أحاد الناس كإيمان الرسل والملائكة ونحوذلك من القول الجنف.

أما كون الإيمان لا يتفاوت فقد مضى جوابه وبيان بطلانه بما هومقطوع به. وأما كون المؤمن يقطع بكمال إيمانه فهوأيضاً باطل ومخالف لما دل عليه كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ولما عليه أهل الإيمان من الصحابة وأتباعهم.

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح: باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهولا يشعر، وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً، وقال ابن أبي مليكه: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول أنه على إيمان جبريل وميكائيل([[76]](#footnote-76)).

ويذكر عن الحسن: (ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق)([[77]](#footnote-77))، وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾([[78]](#footnote-78))، ومعنى قول إبراهيم التيمي أن المؤمن يصف الإيمان بقوله: وعمله يكون أقل مما وصف فيخاف على نفسه أن يكون عمله مكذباً لقوله، كما روي عن حذيفة رضي الله عنه قال: المنافق الذي يصف الإسلام ولا يعمل به([[79]](#footnote-79)).

وقال الأوزاعي: (قد خاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نفسه النفاق)([[80]](#footnote-80))، وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ فقال: ومن يأمن على نفسه النفاق.

وذلك أن النفاق أصغر وأكبر فالنفاق الأصغر هونفاق العمل وهوالذي خافه الصحابة وأتباعهم، وهوطريق إلى النفاق الأكبر، فيخشى على من غلب عليه خصال النفاق الأصغر أن ينقله إلى الأكبر فينسلخ من الإيمان كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾([[81]](#footnote-81)).

ولهذا خاف الصحابة رضي الله عنهم النفاق وهكذا المؤمن ينبغي له أن يخاف مما خاف منه الصحابة وأتباعهم.

قال الحسن البصري رحمه الله: (والله ما أصبح على وجه الأرض مؤمن ولا أمسى على وجهها إلا وهوخائف النفاق على نفسه، وما أمن النفاق إلا منافق) رواه الإمام أحمد في كتاب الإيمان، قاله ابن رجب رحمه الله.

وروى الفريابي في كتابه (صفة المنافق) (ص121) عن معلى بن زياد قال: سمعت الحسن في هذا المسجد يحلف بالله الذي لا إله إلا هوما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهومن النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهومن النفاق آمن. قال: وكان يقول: (من لم يخف النفاق فهومنافق)([[82]](#footnote-82)).

وكذلك المؤمن يخاف أن يحبط عمله ببعض الذنوب التي يفعلها وإن لم يعلم ذلك، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (2)﴾([[83]](#footnote-83)).

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33)﴾([[84]](#footnote-84)).

فدلت الآيتان على أن المخالفات تبطل الأعمال، فيجب أن يحذر المؤمن من ذلك قال تعالى: ﴿وَأَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (92)﴾([[85]](#footnote-85)).

فالذنوب تخون العبد في أحرج ما يكون فيخشى أن يكون سبباً لسوء الخاتمة نسأل الله العافية.

وفي المسند عن عبد الله بن عمروعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ويل لأقماع القول، ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون))([[86]](#footnote-86)).

وأقماع القول الذين لا يتأثرون بما يسمعون من القول آذانهم كالقمع يدخل فيها سماع الحق فيخرج كما دخل بدون تأثير.

وللإيمان جانبان؛ الاستمداد والإمداد، ثمرة وعوائد. أما الأول فهومهم جداً يجب أن يعتني به غاية العناية، بل أمر ضروري وذلك أن الإيمان هوكمال العبد وبه تعلودرجته في الدنيا والآخرة، وهوالطريق إلى سعادة الدنيا والآخرة ولا طريق إلى ذلك غيره، ولا يوجد ويقوى ويتم إلا بمعرفة مادته واستمداده، والله جل وعلا جعل لكل مطلوب سبباً يوصل إليه والإيمان أهم المطالب وأعظمها.

وجوانب الإيمان ومقوياته متعددة، ويجمعها أمران: مجمل، ومفصل.

أما المجمل فهوالنظر في آيات الله المنزلة المتلوة وتدبرها وتفهمها، وبذل الوسع في الوصول إلى ما أريد منها، والحرص الشديد على معرفة الحق الذي خلق العبد له مع التجرد من الموانع والعوائق التي تمنع من الفهم والوصول إلى المطلوب.

وكذلك دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرص على الاقتداء به في كل ما يستطيع العبد، وكذلك النظر والتدبر لآيات الله تعالى الكونية قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾([[87]](#footnote-87)) ونظائر هذه الآية في كتاب الله تعالى كثير.

وأما المفصل فأمور كثيرة؛ وأعظمها معرفة أسماء الله تعالى وصفاته التي تعرَّف تعالى إلى عباده بها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والحرص على فهم معانيها ثم عبادة الله تعالى بها. قال جلَّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)﴾([[88]](#footnote-88)).

فدعائه بها - تعالى - يكون بعد الفهم واعتقاد مدلولها.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن لله تسعاً وتسعين أسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة))([[89]](#footnote-89))، ومعنى أحصاها: حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبد الله بها، وهذا يبين أن علم ذلك من أعظم ما يمد العبد بالإيمان ويقويه ويثبته. ومعرفة أسماء الله تعالى يتضمن أنواع التوحيد.

ومنها تدبر القرآن فإن تالي القرآن يزداد إيماناً وعلماً وخشوعاً: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾([[90]](#footnote-90)) ويلحق به أيضاً تفهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها وحي من الله تعالى، وفيها من العلم والهداية ما يزيد الإيمان ويقويه بشرط العمل وإخلاص النية.

ومنها الإكثار من ذكر الله في كل وقت والدعاء بإلحاح وافتقار وذل لله تعالى؛ فإن ذكر الله تعالى يمد شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وبه يقوى إيمان العبد ويزداد وينموودلائل ذلك كثيرة.

ومنها الحرص على حضور القلب وخشوعه في الصلاة قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون (1) الذين هم في صلاتهم خاشعون (2)﴾([[91]](#footnote-91)) فيستحضر ما يقوله في الصلاة من قراءة وذكر وأفعال يقوم بها من قيام وركوع وسجود، ويوقن أنه قائم بين يدي الله تعالى وأنه مطلع على ما في قلبه فيفرغه له ويجتهد في ذلك غاية ما يمكنه.

ومنها الإكثار من نوافل الصلاة على هذه الصفة فإن ذلك يحيي القلب ويمده بمدد الإيمان وألطاف الرب تعالى حتى تصبح حركات العبد وسكناته كلها عبادة كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)([[92]](#footnote-92)).

فمن اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل قربه الله تعالى إليه فأوصله إلى درجة الإحسان، فيعبد ربه كأنه يشاهده فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى وحبه وعظمته وخوفه فتصير حركاته وسكناته كلها في طاعة الله، فإن نظر فنظره لله، وإن سمع فسمعه لله وهكذا كل تصرفاته.

وكل الطاعات مقوية للإيمان وتزيد فيه وتثبته ولهذا قال أهل السنة في تعريف الإيمان (يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)، فكل طاعة على السنَّة وخلصت فيها النية فهي زيادة في الإيمان.

وفي المقابل المعاصي كلها قوادح في الإيمان ومنقصات له، فيجب الحذر منها وحماية الإيمان منها.

أما فوائده وعوائده فلا حصر لها فكم للإيمان من الثمرات العاجلة من حياة في القلب وقوة في الحق، وصحة في البدن وطيب عيش في الدنيا وأنس بالله تعالى وطمأنينة، وأما في الآجل فهوالموصل بإذنه تعالى إلى رضا الله تعالى وجنته وهذا أعظم الفوز ومنتهى السعادة قال الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾([[93]](#footnote-93)).

وكل مؤمن تقي فهومن أولياء الله تعالى، الذين يرعاهم ويحميهم من كل من أرادهم بسوء من الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾([[94]](#footnote-94))، أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الهدى والإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الغفلة إلى نور الذكر واليقظة.

وبالإيمان يدافع الله تعالى عن أهله المكاره وينجيهم من الشدائد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾([[95]](#footnote-95)) ولم يذكر المدافع مما يدل على العموم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾([[96]](#footnote-96))، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾([[97]](#footnote-97)).

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا راشدين آمين.

**وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه**.

1. () الفتاوى 7/209 (كتاب الإيمان). [↑](#footnote-ref-1)
2. () رواه البخاري في كتاب التهجد باب التهجد بالليل وقوله عز وجل {ومن الليل فتهجد به نافلة لك} رقم الحديث (1120). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه رقم الحديث (769). [↑](#footnote-ref-2)
3. () الحديد: 19. [↑](#footnote-ref-3)
4. () النساء: 69. [↑](#footnote-ref-4)
5. () التوبة: 72. [↑](#footnote-ref-5)
6. () مسلم رقم (2832). [↑](#footnote-ref-6)
7. () النساء: 19. [↑](#footnote-ref-7)
8. () البقرة: 169. [↑](#footnote-ref-8)
9. () يوسف: 17. [↑](#footnote-ref-9)
10. () العنكبوت: 26. [↑](#footnote-ref-10)
11. () المؤمنون: 47. [↑](#footnote-ref-11)
12. () النمل: 14. [↑](#footnote-ref-12)
13. () الإسراء: 102. [↑](#footnote-ref-13)
14. () الأنعام: 33. [↑](#footnote-ref-14)
15. () رواه البخاري (51) في الإيمان، باب أمور الإيمان ومسلم (35) باب بيان عدد شعب الإيمان. [↑](#footnote-ref-15)
16. () المؤمنون: 1-11. [↑](#footnote-ref-16)
17. () فاطر: 32. [↑](#footnote-ref-17)
18. () الأنفال: 2-4. [↑](#footnote-ref-18)
19. () البقرة: 136. [↑](#footnote-ref-19)
20. () البقرة: 285. [↑](#footnote-ref-20)
21. () التوبة: 24. [↑](#footnote-ref-21)
22. () البقرة: 177. [↑](#footnote-ref-22)
23. () النساء: 60-65. [↑](#footnote-ref-23)
24. () الأحزاب: 36. [↑](#footnote-ref-24)
25. () المائدة: 43. [↑](#footnote-ref-25)
26. () النور: 47-51. [↑](#footnote-ref-26)
27. () رواه البخاري (119) ومسلم (57). [↑](#footnote-ref-27)
28. () التوبة: 24. [↑](#footnote-ref-28)
29. () آل عمران: 135. [↑](#footnote-ref-29)
30. () الرعد: 28. [↑](#footnote-ref-30)
31. () رواه البخاري (15)، ومسلم (44). [↑](#footnote-ref-31)
32. () رواه البخاري رقم 19. [↑](#footnote-ref-32)
33. () الفتح: 4. [↑](#footnote-ref-33)
34. () المدثر: 31. [↑](#footnote-ref-34)
35. () تعليقاً في كتاب «الإيمان» باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((بني الإسلام على خمس)) ووصله الإمام أحمد بن حنبل وأبوبكر بن أبي شيبة في كتاب الإيمان لهما عن طريق عيسى بن عاصم قال: حدثني عدي بن عدي قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز: «أما بعد فإن للإيمان فرائض وشرائع...» إلخ. في (المصنف) 11/49. [↑](#footnote-ref-35)
36. () الكهف: 28. [↑](#footnote-ref-36)
37. () الذاريات: 55. [↑](#footnote-ref-37)
38. () رواه البخاري في «كتاب الرقاق» باب فضل الفقر رقم الحديث (6447). [↑](#footnote-ref-38)
39. () البقرة: 84-85. [↑](#footnote-ref-39)
40. () المائدة: 5. [↑](#footnote-ref-40)
41. () المائدة: 3-5. [↑](#footnote-ref-41)
42. () البقرة: 208. [↑](#footnote-ref-42)
43. () الفجر: 27-30. [↑](#footnote-ref-43)
44. () سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-44)
45. () التوبة: 27. [↑](#footnote-ref-45)
46. () سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-46)
47. () الحجرات: 74. [↑](#footnote-ref-47)
48. () آل عمران: 19. [↑](#footnote-ref-48)
49. () آل عمران: 85. [↑](#footnote-ref-49)
50. () رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب فضل من استبرأ لدينه) رقم الحديث (52) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-50)
51. () الشعراء: 111. [↑](#footnote-ref-51)
52. () هود: 87. [↑](#footnote-ref-52)
53. () الجمعة: 13. [↑](#footnote-ref-53)
54. () آل عمران: 97. [↑](#footnote-ref-54)
55. () روه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب قول الله تعالى: {منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين}. رقم (523) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الأمر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والدعاء والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، رقم الحديث (17). [↑](#footnote-ref-55)
56. () البروج: 11. [↑](#footnote-ref-56)
57. () إبراهيم: 32. [↑](#footnote-ref-57)
58. () النساء: 136. [↑](#footnote-ref-58)
59. () البقرة: 238. [↑](#footnote-ref-59)
60. () الأعلى: 2-4. [↑](#footnote-ref-60)
61. () الزخرف: 72. [↑](#footnote-ref-61)
62. () الحجرات: 92-93. [↑](#footnote-ref-62)
63. () الصافات: 61. [↑](#footnote-ref-63)
64. () رواه البخاري رقم 26. [↑](#footnote-ref-64)
65. () رواه الإمام مالك في الموطأ (كتاب العتاقة والولاء) حديث رقم (8). [↑](#footnote-ref-65)
66. () البقرة: 8. [↑](#footnote-ref-66)
67. () رواه البخاري في كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم (6383). ومسلم في كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم (4116). [↑](#footnote-ref-67)
68. () رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام والخوف من القتل، رقم الحديث (27). [↑](#footnote-ref-68)
69. () فتح الباري شرح صحيح البخاري 1/67 وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله) الفتاوى 7/223. [↑](#footnote-ref-69)
70. () التوبة: 72. [↑](#footnote-ref-70)
71. () سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-71)
72. () الأنفال: 2-4. [↑](#footnote-ref-72)
73. () المجادلة: 22. [↑](#footnote-ref-73)
74. () البروج: 11. [↑](#footnote-ref-74)
75. () النمل: 53. [↑](#footnote-ref-75)
76. () قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبوهريرة رضي الله عنهم وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة فهولا ممن سمع منهم وقد أدرك بالسن جامعة أجل من هؤلاء كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص. فتح الباري 1/152. [↑](#footnote-ref-76)
77. () علقه في كتاب الإيمان: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهولا يشعر. [↑](#footnote-ref-77)
78. () آل عمران: 135. [↑](#footnote-ref-78)
79. () المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-79)
80. () انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم للإمام الحافظ ابن رجب (2/492). [↑](#footnote-ref-80)
81. () الصف: 5. [↑](#footnote-ref-81)
82. () قال المحقق شعيب الأرناؤوط: رواه الفريابي عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن المعلي بن زياد عن الحسن وهذا سند قوي. انظر: تحقيقه على جامع العلوم والحكم لابن رجب (2/492). [↑](#footnote-ref-82)
83. () الحجرات: 2. [↑](#footnote-ref-83)
84. () محمد: 33. [↑](#footnote-ref-84)
85. () المائدة: 92. [↑](#footnote-ref-85)
86. () رواه الإمام أحمد في مسنده (2/165). [↑](#footnote-ref-86)
87. () البقرة: 164. [↑](#footnote-ref-87)
88. () الأعراف: 180. [↑](#footnote-ref-88)
89. () رواه البخاري في كتاب الدعوات: باب لله مائة اسم غير واحد، رقم الحديث (6410) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء: باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها رقم الحديث (2677). [↑](#footnote-ref-89)
90. () الأنفال: 2. [↑](#footnote-ref-90)
91. () المؤمنون: 1-2. [↑](#footnote-ref-91)
92. () رواه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع رقم الحديث (6502). [↑](#footnote-ref-92)
93. () يونس: 62-63. [↑](#footnote-ref-93)
94. () البقرة: 257. [↑](#footnote-ref-94)
95. () الحج: 38. [↑](#footnote-ref-95)
96. () الطلاق: 2. [↑](#footnote-ref-96)
97. () الطلاق: 4. [↑](#footnote-ref-97)